

ما الفرق بين اعتياد الشعور وفقدان الشعور

الحمد لله إلى أن يبلغ الحمد منتهاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم. سبحانه الله، الطبيعة البشرية مجبولة على الاستعجال والعجلة، وتجريب كل ما هو جديد وغريب وبأسرع وقت وبأي طريقة، كما أنه تحبّ الأمور الغامضة أو المبهمة للعقل البشري الذي هو عاجز عن إدراكها حتى يأذن الله له، كالأمور الغيبية وكيفية الوجود والبحث في مواضع تجتاز قدرتنا العقلية، فترى العقل كلما تعمق في هذه الأمور أصابته الدهشة والتعجب، كما نالت منه بعض التساؤلات، فهذه الأمور لم يعتد العقل عليها فهي غريبة ومثيرة بالنسبة له، كما أن العقل البشري يحبّ الروتين، يحب الأشياء التي اعتاد عليها، حتى وإن حاول أحدٌ منا إدخال عادة جديدة في حياته سيرى أنّ الأمر صعبٌ ويحتاج الكثير من الصبر، فجلوسك مع شخص تعرفه أو بالأصح (اعتاد عقلك عليه) يريحك أكثر من جلوسك مع شخص لا تعرفه، وقراءتك لكاتبك المفضل أحبّ لك بكثير من باقي الكتاب.

لكن لماذا؟

عندما أقنعت عقلك أن هذا الكاتب هو المفضل لديك وأخذت تخبر الناس عنه وعن بلاغته وقوته اللغوية، لا إرادياً ودون وعي منك ستجده الكاتب الأقوى وربما هناك كتابٌ أقوى منه، ولكن عقلك اعتاده ففقدت الدهشة بغيره واستقرت دهشتك في كتاباته.

كحبك لوجبة معينة وأنت لا تمل مهما أكلت منها، وبنفس الطريقة عقلك اقتنع تماماً أنها المفضلة وأهمل غيرها.

مثالٌ أخيرٌ يكثر الجدل فيه حسب ما أعتقد:

صديقك المقرب، الذي تجمعك به علاقةٌ ربّما أقوى من الإخوة وترى نفسك لا تستطيع إلا أن تكلمه كل يوم وحتى أن تراه في كل وقت إن أتيح لك هذا، وتخبر الناس عنه وعن صفاته ومحاسنه وتكتم مساوئه، هنا أيضاً أقنعت عقلك ألا صديق غيره يجاري مكانته في قلبك، كما أنكما في معظم الأحيان لا تظهران المشاعر إلا فيم بينكم وقد يراكم الناس صديقين عاديين، فهنا يظهر اعتياد شوقك وحبك لهذا الصديق وهنا استقرارٌ للشعور ما بعده استقرار، فهذا اعتياد الشعور وليس فقدانه.

أمّا عن فقدان الشّعور فهذا يتجلّى في وهم البدايات:

كالحب، شابّ وفتاة أعجبا ببعضهما ثمّ تكوّنت علاقة الصداقة بينهما وتحوّلت الصداقة إلى اهتمام مفرط، وبعدها علاقة حب ويظنّان أنهما قد خلّقا لبعضهما ولم يتوقّعا حدوث هذا، كيف لم يتوقّعا وقد مهدا لوقوع هذا الحدث؟

فتبدأ المشاعر الجياشة والعواطف والوعود... إلى ما هنالك من كلام كثير، فجأة أصبح الاعتياد يتخلل هذه العلاقة، فصار واجباً أن يخبر أحدهما الآخر جميع تفاصيل يومه وما حدث معه، وأن يتكلما معظم الوقت وإن قصر أحدهما في هذا الأمر تبدأ الجمل المعروفة هنا (أنت تغيرت - لم تعد تهتم بي) فالعقل اعتاد دائماً على هذا وفجأة فقده وأصيب بالصدمة أو بالأصح بفقدان الشّعور في هذا الشخص لأنه لم يعتد عليه هكذا.

فوهم البدايات في كلّ أمور حياتنا يبدأ هكذا، كفرع دراسيّ معين ومن ثمّ تنصدم بواقع هذا الفرع، كعملٍ كنت تظنه مريحاً وسهلاً لمجرد حبّك له، وعندما تتعمق به تأتيك الصّاعقة، كشخصٍ كنت تحبّه وتتابعه ثمّ ترى منه موقفاً واحداً لا يعجبك فتبتعد عنه وتحاول نسيانه وتجنبّه، وهنا أريد أن أنوّه على **سلسلة مهمة جداً**، وهي:

١. فكرة
٢. شعور
٣. عادة
٤. عقيدة
٥. منهج حياة

مثال لنوضح هذه السلسلة:

التدخين، تأتيك فكرة أن تجربته فتأخذ أوّل سيجارةٍ فالثانية وهكذا، ومن ثمّ يخلق شعور اتجاهها فتظن أنها تفرغ بعض الانزعاجات والانفعالات، وبعدها تتكوّن عندك عادة أن تدخن كلّ صباح لفترة معيّنة، فيصبح هذا الأمر عقيدةً في عقلك وواجب، وبعد تحقق كلّ هذه السلسلة يصبح الأمر منهجاً للحياة، فأنت لا تستطيع إلا أن تعيش وتتعايش مع هذا الأمر، والكثير الكثير من الأمثلة التي توضح استقرار الشّعور وتفرّق بينه وبين فقدانه، فحبّك لكاتبك المفضل هو منهجٌ لك وصديقك المقرب هو منهجٌ لك، لأن عقلك يقدّس العادة والأمور الروتينية واللحظات الأولى والاهتمام الأوّل، فإن طرأ أمر وأحدث خللاً في هذه العادة فقد شعورك وزال شغفك به، هذا والله تعالى أعلم وأعلى، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلّم.